

ان الأسلوب الفكاهي (في نمطه الإنكليزي) يقوم إذن على إمكانية تفكيك اللغة العامة وعلى إمكان فصل مقاصده بقدر أو بآخر عن طبقاتها (اللغة) دون أن يتضامن معها تضامنا كاملا. ان التنوع الكلامي بالذات وليس وحدة اللغة العامة المعيارية هو قاعدة الأسلوب . صحيح ان هذا التنوع الكلامي لا يخرج هنا عن حدود اللغة الأدبية الواحدة ألسنيا (من حيث سماتها اللغوية المجردة) ، ولا يتحوّل هنا إلى تنوع لغوي حقيقي ، بل يتركز على الفهم اللغوي المجرد على مستوى اللغة الواحدة (أي لا يقتضي معرفة لهجات أو لغات مختلفة) . لكن الفهم اللغوي هو لحظة مجردة من فهم التنوع الكلامي الحي ، المُدرج في الرواية والمنظم فيها فنيا ، فهما مشخصا وفعّالا (حواريا) .

ونجد عند رواد الرواية الفكاهية الإنكليزية أسلاف ديكنز - فيلدينغ وسموليت وستيرن - نفس الأساليب لمختلف طبقات اللغة الأدبية وأجناسها عن طريق المحاكاة الساخرة ، لكن المسافة عندهم أكبر مما عند ديكنز والمبالغة أشدّ (خصوصا عند ستيرن) . ان الإدراك الموضوعي الساخر عن طريق المحاكاة لمختلف أنواع اللغة الأدبية ينفذ عندهم (خصوصا عند ستيرن) إلى أعماق طبقات التفكير الأيديولوجي الأدبي ، ويتحوّل إلى محاكاة ساخرة للبنية المنطقية والتعبيرية لأي كلمة أيديولوجية (علمية ، أخلاقية بلاغية ، شعرية) بما هي كذلك (بنفس الجذرية التي نجدها عند رابليه تقريبا) .

وتلعب المحاكاة الساخرة الأدبية بالمعنى الضيق للكلمة (محاكاة رواية ريتشاردسن عند فيلد لينغ وسموليت ، ومحاكاة كل أنواع الرواية المعاصرة عند ستيرن) دورا جوهريا جادا في بناء اللغة عند هؤلاء الروائيين . فالمحاكاة